إتحاف الأوْلى
في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى

د. محمد بن فهد الودعان

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذا كتاب مختصر في "شرح حديث اختصام الملأ الأعلى" الذي تم تقسيمه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ذكر الكفارات (إسباغ الوضوء في الكريهات، ونقل الأقدام إلى الجُمعات).

الفصل الثاني: في ذكر الدرجات (وهي ثلاث: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام).

الفصل الثالث: الدعوات المذكورة في الحديث (كسؤال الله فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، والمغفرة والرحمة).

وأصل هذا هو كتاب لمؤلفه الحافظ ابن رجب الحنبلي – يرحمه الله – وقد وسمته بـ"**اتحاف الأَوْلى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى**".

سائلاً الله – عز وجل – أن ينفع بهذا المختصر الجميع، وأن يجعله في صالح أعمالنا، و أن يتقبله القارئ والسامع بقبول حسن، والحمد لله على فضله ومنته من قبل ومن بعد.

د. محمد بن فهد الودعان

- ما يدور حوله الكتاب:

يدور الكتاب حول: حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: (احتُبِس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعاً فثوب بالصلاة – أي أقام الصلاة – وصلى وتجوز في صلاته، فلما سلم قال: "كما أنتم على مصافّكم". ثم أقبل إلينا فقال: إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربي – عز وجل – في أحسن صورة، فقال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري ربّ. قال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب. قال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أدري رب. فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري، وتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات والدرجات. قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الإقدام إلى الجُمُعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء على الكريهات. فقال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام. قال: سلْ. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك". وقال رسول الله ﷺ: "إنها حق، فادرسوها وتعلموها").

أخرجه أحمد (٣٥٤٨) (٢٢٧٦٢) (١٧٠٧٣) (٢٣٩١٠)، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. قال: وسألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا، فقال: "هذا حديث حسن صحيح". وروى هذا الحديث جماعة من الصحابة (١٢) صحابي. وصححه الألباني.

مؤلف الكتاب:

مؤلفه هو: الإمام الحافظ العلامة زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي أبو الفرج، المعروف بابن رجب.

ولد في بغداد سنة (٧٣٦هـ)، وقدم دمشق مع والده، فسمع من كبار العلماء هناك، وكان ينحدر من أسرة علمية عريقة في العلم، ونشأ نشأة علمية أهلته أن

يكون في مصاف العلماء الكبار الذين صنعوا للإسلام أزهى أمجاده، وقد تنوعت فنون ابن رجب واشتغل بسماع الحديث، وكان عالماً بالفقه حتى صار من أعلام المذهب الحنبلي، ويشهد لذلك ما خلفه من تراث ضخم في هذه العلوم.

قال ابن العماد، في "شذرات الذهب" (٣٣٩/٦): "وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة، وللناس عامة مباركة نافعة، اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب بالمحبة إليه"ا.هـ.

كيف لا؟! وقد جُبِلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

وقد تلقى العلم من أفواه الرجال، فطاف البلاد، ورحل في الآفاق، فسمع من البعض وأجازه البعض الآخر.

ومن شيوخه الإمام ابن قيم الجوزية، وذكره ابن رجب في مشيخته، ومن تلاميذه ابن اللحام علي بن محمد.

توفي ابن رجب – يرحمه الله – سنة (٧٩٥هـ) بعد أن أفنى عمره في التأليف والتدريس، والدفاع عن سنة المصطفى ﷺ من خلال بيان صحيح الحديث وسقيمه، واتباع منهج السلف رضوان الله على الجميع.

ينظر في ترجمته: ابن حجر، الدرر الكامنة (٣٢١/٢)؛ وأبو المحاسن الدمشقي، ذيل تذكرة الحفاظ (ص١٨٠)؛ والسخاوي، وجيز الكلام (٣٠٨/١)؛ والسيوطي، طبقات الحفاظ (١١٧٠)؛ وابن العماد، شذرات الذهب (٣٣٩/٦)؛ وحاجي خليفة، كشف الظنون (٥٩/١)؛ والزركلي، الأعلام (٢٩٤/٣).

أما الحديث فيؤخذ منه أشياء:

١-أن النبي ﷺ لم يكن من عادته تأخير صلاة الصبح إلى قرب طلوع الشمس ولهذا اعتذر لهم. وإنما كانت عادته التغليس بها، وكان أحياناً يسفر بها عند انتشار الضوء على وجه الأرض لا سيما إذا أطال القراءة.

أما تأخيرها إلى هذا الإسفار الفاحش لا يجوز بدون عذر.

٢-وفي الحديث: دلالة على أن من أخر الصلاة إلى آخر الوقت لعذر أو غيره وخاف خروج الوقت في الصلاة إن طوَّلها أن يخففها حتى يدركها كلها في الوقت.

٣-وفيه أيضاً: أن من استثقل نومه في تهجده بالليل حتى رأى رؤيا تسره، فإن في ذلك بشرى له.

٤-وفيه دلالة على شرف النبي ﷺ، وتفضيله بتعليمه ما في السموات والأرض، وتجلى ذلك له مما تختصم فيه الملائكة في السماء وغير ذلك.

٥-أن الملائكة يختصمون فيما بينهم فيما يقرب ابن آدم إلى الله.

٦-من رأى رؤيا تسره يخبر بها إخوانه المحبين له، لا سيما إذا تضمنت رؤيا ببشارة لهم، وتعليماً لما ينفعهم.

٧-ومن فوائد هذا الحديث أيضا : أن الله ـ تعالى ـ يُرى في الآخرة بالأبصار عياناً، ولا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولكن يجوز رؤية الله ـ تعالى ـ في المنام.

وقد دل الكتاب والسنة على أن المؤمنين يرون ربهم سبحانه وتعالى في الجنة، وعلى ذلك أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل الهدى.

قال الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة❖ إلى ربها ناظرة) [القيامة٢٢-٢٣:]

وقال سبحانه: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [المطففين: ١٥]

قال الشافعي:" لما حجب هؤلاء في السخط دل على أن أولياءه يرونه في الرضا ".

وقال عز وجل: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فالحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجنا من النار؟. قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل" ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة.)

قال النووي ـ رحمه الله ـ في "شرحه على مسلم" : " اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة على

إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآيات القرآن فيها مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة ... وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة، ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا ... " انتهى كلام النووي رحمه الله تعالى.

أما رؤية الله تعالى بالعين في الدنيا فهي غير واقعة ، بخلاف الآخرة فإنها ثابتة للمؤمنين؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم محذراً من الدجال: " تعلمون أنه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت، وإنه مكتوب بين عينه ك ف ر يقرؤه من كره عمله" رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٣٣٦/٢): وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأئمة المسلمين.

والذي عليه السلف ودلت عليه النصوص أن الله تعالى لم يره أحد في الدنيا يقظة، بل ذكر العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في " شرحه لكتاب لمعة الاعتقاد " لابن قدامة أن رؤية الإنسان ربه في الدنيا مستحيلة لنقص حياة البشر حينئذ، ولذلك لما قال موسى عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ. جاء الجواب من رب العزة تبارك وتعالى: لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي.... {الأعراف:١٤٣} ، أما رؤية الله في الآخرة فهي واقعة -إن شاء الله- لا محالة، وقد أجمع على ذلك السلف، ودل على ذلك الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {القيامة:٢٢-٢٣} ، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه: أسألك لذة النظر إلى وجهك... وهو جزء من حديث رواه النسائي وغيره عن عطاء بن السائب عن أبيه وصححه الألباني.

وليس في هذا خلاف بين أهل السنة إلا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج، والصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نوراً وهو الحجاب. كما روى مسلم في الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قد سألته - أي عن رؤيته لربه - فقال: "رأيت نوراً ".

وفي مسلم أيضاً من حديث أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال: " نور أنى أراه " أي كيف أراه !

وقد دل على أن النور هو الحجاب قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: " إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".

وسبحات وجهه، أي: نوره وجلاله وبهاؤه.

قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، في "فتاواها" (٢٧١/٣) :" عقيدة أهل السنة والجماعة المستمدة من النصوص الشرعية أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لما أسري به وعرج به لم ير ربه بعينيه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن ذلك: « رأيت نورًا » ، وفي رواية أخرى: « نور أنى أراه » أخرجهما مسلم في صحيحه ولقوله صلى الله عليه وسلم « واعلموا أنه لن يرى منكم أحد ربه حتى يموت » أخرجه مسلم أيضًا ".

وقد اختلف العلماء في رؤية الله تعالى مناماً، هل تقع أو لا؟.

قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢٨٥/٢): " وقد اختلف في رؤية الله تعالى مناماً والحق جوازها وبالله التوفيق ".

وقال الإمام النووي، في "شرح صحيح مسلم" (٢٥/١٥) : " قال القاضي عياض : واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام...".

وقال الإمام عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ) في "سننه" (١٢٦/٢) :" باب رؤية الرب تعالى في النوم " وروى فيه حديث اختصام الملأ الأعلى وفيه : " رأيت ربي في أحسن صورة ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، في كتابه " بيان تلبيس الجهمية " (٧٣/١) : " فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد

أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام، فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون متماثلاً، ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآها فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه، فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقاً أتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس. قال بعض المشايخ: إذا رأى العبد ربه في صورة كانت تلك الصورة حجاباً بينه وبين الله.

وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلاً ينكر ذلك، فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه، إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره، وهذه مسألة معروفة، وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين، وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم إنكار رؤية الله، والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام". انتهى.

وقال في "مجموع الفتاوى" أيضا (٢٠١/٥): " ومن رأى الله عز وجل في المنام فإنه يراه في صورة من الصور بحسب حال الرائي، إن كان صالحاً رآه في صورة حسنة، ولهذا رآه النبي صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة " انتهى.

وعلى هذا فإن رؤية الله في المنام جائزة وواقعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويقينه ". مجموع الفتاوى(٣/ ٣٩٠).

أقسام الكتاب:

قسم الكتاب إلى ثلاثة فصول:

١- في ذكر الكفارات.

٢- في ذكر الدرجات في حديث معاذ.

٣- في ذكر الدعوات المذكورة في هذا الحديث.

الفصل الأول
في ذكر الكفارات

وهي إسباغ الوضوء في الكريهات، ونقل الأقدام إلى الجُمُعات أو الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات.

وسُمِّيت كفارات لأنها تكفر الخطايا والسيئات. فالأغلب في هذه الخصال تكفير السيئات، وقد يحصل بها أيضاً رفع الدرجات كما في صحيح مسلم. قال ﷺ: "ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: "إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط".

فهذه ثلاثة أسباب تكفر بها الذنوب:

١- الوضوء:

وقد دلَّ القرآن الكريم على تكفيره الذنوب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

وفي صحيح مسلم عن عثمان ﷺ أنه توضأ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال:"من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة".

وقال ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره" أخرجه مسلم.

وقال ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل أيها شاء"أخرجه

مسلم.

وقال ﷺ: "إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلون من آثار الوضوء" أخرجه البخاري.

الغرة: لمعة بيضاء في جبهة الفرس ويراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمة محمد؛ فأطلقت على نور وجوههم.

التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس، ويراد به النور الكائن في هذه الأعضاء يوم القيامة، تشبيهاً بتحجيل الفرس.

واعلم أن حديث معاذ في المنام فيه ذكر إسباغ الوضوء على الكريهات، فيكون هنا أمران:

أحدهما: إسباغ الوضوء، وهو إتمامه وإبلاغه مواضعه الشرعية كالثوب والسابغ المغطي للبدن كله.

وثانيهما: أن يكون الإسباغ على الكريهات، أي على حالةٍ تكره النفس فيها الوضوء، وقد فسر بحال نزول المصائب، فالنفس في هذه الحالة تجزع، وفسر بالبرد الشديد؛ ويشهد له بعض روايات حديث معاذ: "...إسباغ الوضوء على السبرات".

والسبرة: شدة البرد.

ويجب الصبر على الألم كعطش الصائم والوضوء في البرد وألم المجاهد. فإن حصل الرضى فذلك مقام العارفين المحبين.

وينشأ الرضى بالوضوء في البرد عن ملاحظة أمور:

١- تذكر فضل الوضوء من حطّه الخطايا ورفعه الدرجات وحصول الغرة والتحجيل.

٢- تذكر ما أعده الله لمن عصاه من العذاب بالبرد والزمهرير. قال ﷺ: "إنَّ أشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم" أخرجه البخاري.

٣- ملاحظة جلال من أمر بالوضوء، ومطالعة عظمته وكبريائه، وتذكر التهيؤ للقيام بين يديه ومناجاته في الصلاة؛ فذلك يهون كل ألم ينال العبد في طلب مرضاته من برد الماء وغيره؛ كما قال بعض العارفين بالمعرفة هانت على العاملين العبادة.

٤- استحضار اطلاع الله على عبده في حال العمل له، وتحمل المشاق لأجله؛ فمن تيقن أن الله مطلع عليه أثناء صبره على الطاعة تقرباً لله كان ذلك أقوى الأسباب في تحمل المشقة.

٥- الاستغراق في محبة من أمر بهذه الطاعة وأنه يرضى بها ويحبها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فمن امتلأ قلبه من محبة الله – عز وجل أحب ما يحبه وأن شق على النفس وتألمت به، كما يقال المحبة تهوِّن الأثقال، وكما قيل: فما لجرحٍ إذا أرضاكُمُ ألم".

وكما قيل أيضاً:

في حُبِّكم يهونُ ما قد ألقى يسعدُ بالنعيمِ مِنْ لا يشقى

السبب الثاني من مكفرات الذنوب:

٢- المشي على الأقدام إلى الجماعات وإلى الجمعات:

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: "من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كان خطوتاه: إحداهما تحط خطيئته، والأخرى ترفع درجته".

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "كل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة".

فالمشي إلى الجُمعات له مزيد فضل، لا سيما إن كان بعد الاغتسال، كما في السنن عن أبي أوس عن النبي ﷺ قال: "من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغُ، كان له بكل خطوة أجر سنة: صيامها وقيامها". وأخرجه أحمد وغيره وإسناده صحيح.

غسل: أي رأسه، واغتسل: باقي جسده (من الغُسل).

بكر: أدرك بداية الخطبة، ابتكر: قدم الجامع مبكراً وهما مترادفتان، والتكرار للتوكيد.

وكلما كان المسجد أبعد كان المشي إليه أفضل؛ لكثرة الخطا، وفي صحيح مسلم عن جابر قال: كانت دارنا نائية عن المسجد، فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقرب من المسجد، فنهانا رسول الله، وقال: "إن لكم بكل خطوة حسنة".

والمشي إلى المسجد أفضل من الركوب – كما تقدم في حديث أوس في الجُمع –؛ ولهذا جاء في حديث معاذ ذكر المشي على الأقدام، وكان النبي ﷺ لا يخرج إلا ماشياً حتى العيد يخرج إلى المصلى ماشياً؛ فإن الآتي للمسجد زائر الله، والزيارة على الأقدام أقرب إلى الخضوع والتذلل؛ كما قيل:

لو جئتكم زائراً أسعى على بصري لم أَدِّ حقاً وأيُّ الحقِّ أَدَّيتُ؟!

وفي الصحيحين: "إن أعظم الناس أجراً في الصلاة: أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم".

وكلما شق المشي إلى المسجد كان أفضل؛ ولهذا فضل المشي إلى صلاة العشاء وصلاة الصبح، وعُدل بقيام الليل كله؛ كما في "صحيح مسلم" عن عثمان، عن النبي ﷺ قال: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كلّه".

وفي الصحيحين: "أثقل صلاة على المنافقين: صلاة العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً". وإنما ثقلت هاتان الصلاتان على المنافقين؛ لأن المنافق لا ينشط للصلاة إلا إذا رآه الناس. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢]. وصلاة العشاء والصبح يقعان في ظلمة فلا ينشط للمشي إليها إلا كل مخلص يكفيه أن يعلم به الله دون الناس.

ومتى اجتهد العبد على تكميل طهارته ومشيه إلى المسجد ولم يقوَ ذلك على تكفير ذنوبه؛ فإن الصلاة يكمل بها التكفير؛ كما في "الصحيحين" عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟" قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا".

واعلم أن جمهور العلماء على أن هذه الأسباب كلها إنما تكفر الصغائر دون الكبائر والدليل كما في الصحيحين: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتُنِبَت الكبائر".

وفي صحيح مسلم" "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن

وضوءها وخشوعها وركوعها وسجودها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله".

السبب الثالث: من مكفرات الذنوب:

٣- الجلوس في المساجد بعد الصلوات:

ويراد به: انتظار صلاة أخرى؛ كما في حديث أبي هريرة: "...وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط". وهذا أفضل من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها، فإن الجالس لانتظار الصلاة ليؤديها ثم يذهب تقصر مدة انتظاره بخلاف من صلى صلاة ثم جلس ينتظر أخرى فإن مدته تطول.

ويدخل في قوله الجلوس في المساجد بعد الصلوات: الجلوس للذكر والقراءة وسماع العلم وتعليمه لا سيما بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس فقد ورد فيه نصوص وهو شبيه بمن جلس ينتظر صلاة أخرى؛ لأنه قد قضى ما جاء المسجد لأجله من الصلة؛ وجلس ينتظر طاعة أخرى.

وفي الصحيحين: "الملائكة تصلى على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم اغفر له اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة".

يحدث: قيل حدث اللسان وقيل الفرج وقيل الحدثين.

وإنما كان ملازمة المسجد مكفراً للذنوب؛ لأن فيه مجاهدة النفس وكفّاً لها عن أهوائها؛ فإنها لا تميل إلا إلى الانتشار في الأرض لابتغاء الكسب أو لمجالسة الناس ومحادثتهم والتنزه في مواطن النزه. فمن حبس نفسه في المساجد على الطاعة فهو مرابط في سبيل الله.

وكان زياد مولى ابن عباس رضي الله عنهما أحد العباد الصالحين يلازم مسجد المدينة، فسمعوه يوماً يعاتب نفسه ويقول لها: "أين تريدين أن تذهبي؟ إلى أحسن من هذا المسجد!! تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان".

الفصل الثاني
في ذكر الدرجات

الدرجات المذكورة في حديث معاذ ثلاث درجات:

١- إطعام الطعام:

وقد جعله الله في كتابه من الأسباب الموجبة للجنة ونعيمها، قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨ – ٩].

وفي الصحيحين. قيل يا رسول الله أي الإسلام خير قال: "تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف".

وإطعام الطعام يوجب دخول الجنة، ويباعد من النار "اتقوا النار ولو بشق تمرة" البخاري.

ويتأكد إطعام الطعام للجائع وللجيران خصوصاً، قال ﷺ: "اطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكّوا العاني" البخاري.

وأفضل أنواع إطعام الطعام: الإيثار مع الجماعة كما وصف الله تعالى بذلك الأنصار: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

وسبب نزولها أن رجلاً من الأنصار أخذ ضيفاً من عند النبي ﷺ يضيفه فلم يجد عنه إلا قوت صبيانه، فاحْتال هو وامرأته حتى نوّما صبيانهما وقام إلى السراج كأنه يصلحه فأطفأه ثم جلس مع الضيف يريه أنه يأكل معه ولم يأكل فلما غدا على رسول الله ﷺ قال له: "عجب الله من صنيعكما الليلة" ونزلت الآية.

وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره وهو صائم ويصبح صائماً.

وكان ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين، وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه فلم يفطر في تلك الليلة.

ومنهم من لا يأكل إلا مع ضيف له، وإن لم يجد من يأكل معه أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس، وكان منهم من يطعم إخوانه الطعام وهو

صائم، ويجلس يخدمهم ويروحهم.

ومنهم يفضل إطعام الإخوان على الصدقة على المساكين.

وبعضهم يشتهي الشيء فلا يصنعه إلا لضيف ليأكله معه، وبعضهم يصنع الأطعمة الفاخرة ثم يطعمها الفقراء، ويقول إنهم لا يجدونها، وبعضهم يصنع له طعاماً ولا يأكل ويقول إني لا أشتهيه وإنما صنعته لأجلكم، وبعضهم أطعم معتوه حلاوة فقال له أهله إن هذا لا يدري فقال: لكن الله يدري. وقال آخر إذا أكلته كان في الحش، وإذا أطعمته كان عند الله مذخوراً.

وقال جعفر بن محمد بن علي: لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعاماً يشتهونه أحبّ إليّ من أن أعتق عشرة من ولد إسماعيل.

فهل يوصف الإيثار عن بخل بالحقوق الواجبة عليه. ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٦].

فبيننا وبين القوم كما بين اليقظة والنوم:

لا تَعْرِضَنَّ لذكرنا في ذكرهم ... ليس الصحيحُ إذا مشى كالمقعد

فيا من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١].

٢- لين الكلام:

وفي رواية "إفشاء السلام"، وهو داخل في لين الكلام، وقد قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

ولما قال النبي ﷺ: "الجمع المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" قالوا له: وما الحج المبرور يا رسول الله؟ قال: "إطعام الطعام، ولين الكلام" خرجه الإمام أحمد.

وقوله ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة" أخرجه البخاري.

وأما إفشاء السلام فمن موجبات دخول الجنة كما في صحيح مسلم قال ﷺ: "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا. ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

وإنما جمع بين إطعام الطعام ولين الكلام؛ ليكمل بذلك الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، فلا يتم الإحسان بإطعام الطعام إلا بلين الكلام وإفشاء السلام؛ فإن أساء بالقول بطل الإحسان بالفعل من الإطعام وغيره؛ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من الإحسان بإعطاء المال؛ كما قال لقمان لابنه: "يا بنيّ لتكن كلمتك طيبة، ووجهك منبسطاً، تكن أحب إلى الناس ممن يُعطيهم الذهب والفضة".

وفي حديث أخرجه البخاري: "أن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف".

وهناك حديث آخر حسن عن ابن مسعود مرفوعاً "من أشراط الساعة: السلام بالمعرفة" أخرجه أحمد.

وآخر حسن: "إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم النهار، القائم الليل" أخرجه أبو داود.

ورؤي بعض السلف في المنام فسئل عن بعض إخوانه الصالحين فقال وأين ذلك؟ رفع في الجنة بحُسن خلقه.

ويندب إلى إلانة القول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. قال بعض السلف ما أغضبت أحداً فقبل منك.

وقال الإمام أحمد: الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً معلناً بالفسق فإنه لا حرمة له.

وقالت أم الدرداء: من وعظ أخاه سراً فقد زانه. ومن وعظه علانية فقد شانه. وكذلك يقابل الأذى بإلانة القول، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢].

قال بعض السلف: هو الرجل يسبه الرجل فيقول له: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك.

الثالث من الدرجات:

٣- الصلاة بالليل والناس نيام:

فهي من موجبات دخول الجنة قال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧].

ويوجب علو الدرجات قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]. فالمقام المحمود أعلى الدرجات للنبي ﷺ.

ويوجب نعيم الجنة. وفي الصحيح يقول الله عز وجل: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]".

قال بعض السلف: أخفوا لله العمل فأخفى الله لهم الجزاء، فلو قدموا عليه لأقرّ تلك الأعين عنده.

ومما يجزي به المتهجدين في الليل: كثرة الأزواج من الحور العين في الجنة.

قال بعض السلف طول التهجد في الليل مهور الحور العين في الجنة.

ورأى بعضهم في منامه امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقال لها: من أنت؟ قالت: حوراء أمة الله، فقال لها: زوجيني نفسك. قالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني. قال وما مهرك؟ قالت: طول التهجد.

نام المتهجدين ذات ليلة فرأى في منامه حوراء تنشد:

أتخطبُ مثلي وعنِّي تنام ... ونومُ المحبين عنَّا حرام

لأنا خُلِقنا لكلِ امرئ ... كثير الصلاة براه [1] الصيام

وكان لبعض السلف ورد من الليل فنام عنه ليلة فرأى في منامه جارية كأن وجهها القمر ومعها رقّ فيه كتاب، فقالت أتقرأ: قال نعم فأعطته إياه ففتحه فإذا فيه مكتوب:

أألهتك لذةُ نومةٍ عن خير عيشٍ ... مع الخيرات في غُرَفِ الجنان

تعيش مخلّداً لا موتَ فيه ... وتنعُمُ في الجنان مع الحِسان

تيَقّظ من منامك إنّ خيراً ... من النوم التهَجُّدُ بالقرآن

فاستيقظ من نومه. قال فوالله ما ذكرتها إلا ذهب عنِّي النوم.

---

(١) براه: أضعفه.

وكان أبو سليمان يقول: أهل الليل في ليلهم ألذّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

وكان السري يقول: رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل.

وسئل الحسن: لِمَ كان المتهجدون أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره.

قيل لابن مسعود: لا نستطيع قيام الليل. قال: أبعدتكم ذنوبكم.

وقيل للحسن: أعجزنا قيام الليل. قال: قيدتكم خطاياكم.

الفصل الثالث

في ذكر الدعوات المذكورة في الحديث

وهي: "اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب العمل الذي يبلغني حبك". فقال النبي ﷺ: "تعلموهن وادرسوهن فإنهن حق".

هذا الدعاء عظيم ومن أجمع الأدعية، يتضمن طلب كل خير وترك كل شرٍّ.

وقوله: "حبّ المساكين":

أفرد لشرفه وقوة الاهتمام به وإلا هو من جملة فعل الخيرات، وقد تضمن هذا الدعاء سؤال حب الله – عز وجل – ، وحب أحبابه وحب الأعمال التي تقرب من حبه والحب فيه، وذلك مقتضٍ فعل الخيرات كلها، وتضمن ترك المنكرات والسلامة من الفتن، وذلك يتضمن اجتناب الشر كله، وحب المساكين أصل الحب في الله؛ لأنهم لا يملكون ما يوجب محبتهم لأجله، وحبهم يستلزم إخلاص العمل لله.

وهم أكثر أهل الجنة قال ﷺ: "قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين".

وهم أول الناس إجازة على الصراط. وأول الناس ورودا الحوض. متفق عليه.

وهم أتباع الرسل كما أخبر الله تعالى عن نوح -عليه السلام -أن قومه عيّروه باتباع الضعفاء له فقالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

وهم أفضل من الأغنياء عند كثير من العلماء، ووقع خلاف طويل وأحسن ما قيل: "إن الفقر والغنى محنتان من الله يختبر بهما عباده في الشكر والصبر".

ورجح ابن تيمية: أنه لا تفاضل بين الاثنين بل أفضلهما أتقاهما.

ومحبة المساكين توجب إخلاص العمل لله – عز وجل – ؛ لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله – عز وجل – .

ومحبتهم تزيل الكبر – فغن المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين – ومحبتهم توجب صلاح القلب وخشوعه، وتوجب مجالستهم الرضى برزق الله. قال ﷺ: "انظروا إلى من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم" أخرجه مسلم.

وكان أحد السلف يجالس الأغنياء فلا يزال في غم؛ لأنه لا يزال يرى من هو أحسن منه لباساً ومركباً ومطعماً ومسكناً، فتركهم وجالس المساكين فاستراح. والمسكين إذا أطلق يراد به من لا مال له يكفيه.

والمسكين من هو محتاج في الباطن وأظهر حاجته للناس، وآخر يكتم حاجته ويظهر للناس أنه غني فهذا أشرف القسمين.

قال ﷺ: "ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين من لا يجد ما يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه" أخرجه البخاري ومسلم.

وكان إبراهيم النخعي يلبس الثياب الجميلة ويخرج إلى الناس وهم يرون أنه تحل له الميتة من الحاجة.

وكان بعض الصالحين يلبس الثياب الجميلة وفي كمه مفتاح دار كبيرة ولا مأوى له إلا المسجد. وآخر يلبس جبة في الشتاء لفقره، ويقول بي علة تمنعني من لبس المحشو ويعني الفقر.

وكان أناس على العكس يلبسون ثياب المساكين مع غناهم تواضعاً لله مثل الخلفاء الراشدون.

وإنما يذم الذي يترك اللباس بخلاً على نفسه أو كتماناً لنعمة الله. وفي هذا الحديث المشهور: "إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثر نعمته على عبده" أخرجه أحمد.

ومن لبس لباساً حسناً إظهاراً لنعمة الله ولم يفعله اختيالاً كان حسناً.

وسئل ﷺ عن الرجل يحب أن يكون لباسه حسناً ونعله حسناً؟ قال: "ليس ذلك من الكبر، إنما الكبر بطر الحق، وغمط الناس" أخرجه مسلم.

البطر: التكبر عن قبول الحق. غمط: احتقار الناس.

وبعض السلف كره لباس المساكين خشية الشهرة بأنه زاهد.

أما النبي ﷺ فكان يلبس ما وجد تارة لباس الأغنياء كحلل اليمن وتارة لباس المساكين.

والمسكين في الحقيقة من استكان قلبه لربه وخشع من خشيته ومحبته ولا يكون المسكين ممدوحاً بدون هذه الصفة. فإن من لم يخشع قلبه مع فقره وحاجته فهو جبار. فالمؤمن يظهر الشكر في الرخاء، ويظهر الذل والعبودية والفاقة في حال الشدة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

ومما يشرع التمسكن فيه الصلاة. وكان النبي ﷺ يخرج عند الاستسقاء متواضعاً متمسكناً.

ويشرع إظهار المسكنة في الدعاء، لما أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس، قال: رأيت النبي ﷺ يدعو بعرفة، ويداه إلى صدره كاستطعام المسكين.

وكان بعض السلف يجلس بالليل مطرقاً رأسه، ويمد يديه وهو ساكت كحال المسكين المستعطي.

قال ابن تيمية:

أنا الفقيرُ إلى رب السماوات ... أنا المسكينُ في مجموع حالاتي

أنا المظَّلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن جاءها من عنده يأتي

قوله: "وأن تغفر لي وترحمني":

المغفرة والرحمة يجمعان خير الآخرة كله. فالمغفرة: ستر الذنب مع وقاية شره.

أما الرحمة: دخول الجنة وعلو درجاتها.

وفي الصحيحين: "أن الله عز وجل يقول للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي".

وأن ما في الجنة فهو رحمة الله. قال ﷺ: "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله". قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته". أخرجه البخاري ومسلم.

قوله: "وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون":

المقصود سلامة العبد من فتن الدنيا مدة حياته وهذا من أهم الأدعية، فإن المؤمن إن عاش سليماً من الفتن ثم قبضه الله تعالى إليه قبل وقوعها كان ذلك نجاة من الشر كله.

وقد "أمر النبي ﷺ أصحابه أن يتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن" أخرجه مسلم.

وكان يخص بعض الفتن العظيمة بالذكر كما في البخاري ومسلم: "أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال".

فتنة المحيا: تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها مثل البدع والفسوق.

فتنة الممات: يدخل فيها سوء الخاتمة وفتنة الملكين في القبر. فإن الناس يفتنون في قبورهم مثل أو قريباً من فتنة الدجال. كما في البخاري ومسلم.

ثم خص فتنة الدجال لعظم وقوعها.

وكلما قرب الزمان من الساعة كثرت الفتن "وقد أخبر ﷺ عن الفتن التي كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا" أخرجه مسلم.

وكان أول هذه الفتن ما حدث بعد عمر رضي الله عنه ونشأ من ذلك قتل عثمان رضي الله عنه، وظهور بدع الخوارج، وأهل القَدَر والرّفض.

والدعاء بالموت خشية الفتنة في الدين جائز وقد دعا به الصحابة والصالحون بعدهم، فقد دعا عمر بن الخطاب بقوله: "فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفتون".

وعمر بن عبدالعزيز أوصى رجلاً معروفاً بالإجابة – أي إجابة الدعوة – بأن يدعو له بالموت، فدعا له ولنفسه بالموت فماتا.

والإنسان لا يخلو من فتنة، قال ابن مسعود: "لا يقل أحدكم: أعوذ بالله من الفتن، ولكن ليقل: أعوذ بالله من مضلات الفتن، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥].

وقال ﷺ: "والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم" أخرجه البخاري ومسلم.

وفي "صحيح مسلم" قال ﷺ: "اتقوا النساء، فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل في النساء".

وفي "الترمذي" أنه ﷺ قال: "لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال".

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

فالرجل فتنة للمرأة والمرأة فتنة للرجل، والغني فتنة للفقير والفقير فتنة للغني، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فإن أصيب بخير امتحن به شكره، وإن أصيب بشر امتحن به صبره، وفتنة السراء أشد من فتنة الضراء.

قال عبدالرحمن بن عوف: "بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر" سنده جيد.

وقال بعضهم: فتنة الضَّراء يصبر عليها البر والفاجر، ولا يصبر على فتنة السراء إلاّ صدِّيق.

ولما ابتلي الإمام أحمد بن حنبل بفتنة الضراء صبر ولم يجزع وقال: كانت زيادة في إيماني، فلما ابتلي بفتنة السراء جزع وتمنى الموت صباحاً ومساءً.

والمؤمن لا بد أن يفتن بفتنة مؤلمة وشاقة ليمتحن! قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

والفتن الصغار التي يُبتلى بها المرء في أهله وماله وولده تكفرها الطاعات، من صلاة وصيام وصدقة، وأما الفتن المضلة التي يُخشى منها فساد الدين، فهي التي يُستعاذ منها، ويُسأل الموت قبلها.

وقوله: "وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب العمل الذي يبلغني حبك":

هذا الدعاء يجمع كل خير، فإن كانت محبة الله – تعالى – ثابتة في القلب نشأت عنها حركات الجوارح، فكانت بحسب ما يحبه الله ويرتضيه. ومحبة الله تعالى درجتين:

إحداهما: واجبة: وهي التي توجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات وكراهة ما يكرهه من المحرمات:

تعصي الإله وتزعُمُ حبه هذا لعمري في القياس شنيعُ

لو كان حبُّك صادقاً لأطعته إن المحبَّ لمن يحب مُطيعُ

ومتى ارتكب العبد بعض المحرمات أو أخل ببعض الواجبات فمحبته لربه غير تامة. قال ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" أخرجه البخاري ومسلم.

الثانية: درجة المقربين: وهي أن يمتلئ القلب بمحبة الله حتى توجب له محبة النوافل والاجتهاد فيها وكراهة المكروهات والرضا بالأقدار المؤلمة للنفوس. قال عامر بن قيس: "أحببت الله حباً هوّن عليّ كل مصيبة، ورضاني بكل بلية، فلا أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت عليه ولا على ما أمسيت".

ومحبة الله لها لوازم وهي: محبة ما يحبه الله من الأشخاص والأعمال وكراهة ما يكرهه. فإن من يحب الله أحب أولياءه وأبغض أعداءه. وأعظم من تجب محبتهم الأنبياء والرسل، وتنال محبة الله بطاعته وبفعل ما يحبه.

ومن أعظم ما تحصل به محبة الله تعالى من النوافل تلاوة القرآن خصوصاً مع التدبر.

قال ابن مسعود: "لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن؛ فمن أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله".

ومن الأعمال التي توصل إلى محبة الله تعالى وهي من أعظم علامات المحبين: ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان وهي من أعظم علامات المحبين. قال بعضهم: "ما أدمن أحد ذكر الله إلا وأفاد منه محبة الله تعالى".

وقال بعض التابعين: "علامة حب الله: كثرة ذكره؛ فإنك لن تحب شيئاً إلا أكثرت ذكره".

ومن علامات المحبين لله: حب الخلوة بمناجاة الله تعالى خصوصاً في ظلمة الليل.

ومن لم يكن له مثل تقواهم لم يدر ما الذي أبكاهم، ومن لم يشاهد جمال يوسف لم يدر ما الذي آلم قلب يعقوب.

إن مجالس الذكر شراب المحبين، وهي مآتم الأحزان فهذا يبكي لذنوبه

وهذا يندب عيوبه وهذا يتأسف على فوات مطلوبه.

وبهذا يتم اختصار كتاب "اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى" لابن رجب رحمه الله تعالى.

أسأل الله أن ينفع به كاتبه وقارءه وناشره ويجعلنا ممن يستمعون القول ويتبعون أحسنه والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم.

فهرس المحتويات

المقدمة ١
ما يدور حوله الكتاب ٢
ترجمة مؤلف الكتاب ٢
ما يؤخذ من الحديث ٣
أقسام الكتاب ٤
الفصل الأول (في ذكر الكفارات) ٨
الأسباب التي تكفر بها الذنوب ٨
١ – الوضوء ٨
ينشأ الرضى بالوضوء في البرد عن ملاحظة أمور ٩
٢ – المشي على الأقدام إلى الجماعات ١٠
٣ – الجلوس في المساجد بعد الصلوات ١٢
الفصل الثاني (في ذكر الدرجات) ١٣
الدرجات المذكورة في حديث معاذ ١٣
١ – إطعام الطعام ١٣
٢ – لين الكلام ١٤
٣ – الصلاة بالليل والناس نيام ١٦
الفصل الثالث (في ذكر الدعوات المذكورة في الحديث) ١٨
قوله: "حب المساكين" ١٨
قوله: "وأن تغفر لي وترحمني" ٢٠
قوله: "وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون" ٢١
قوله: "وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب العمل الذي يبلغني حبك" ... ٢٣
محبة الله درجتين ٢٣
لوازم محبة الله ٢٣
فهرس المحتويات ٢٥